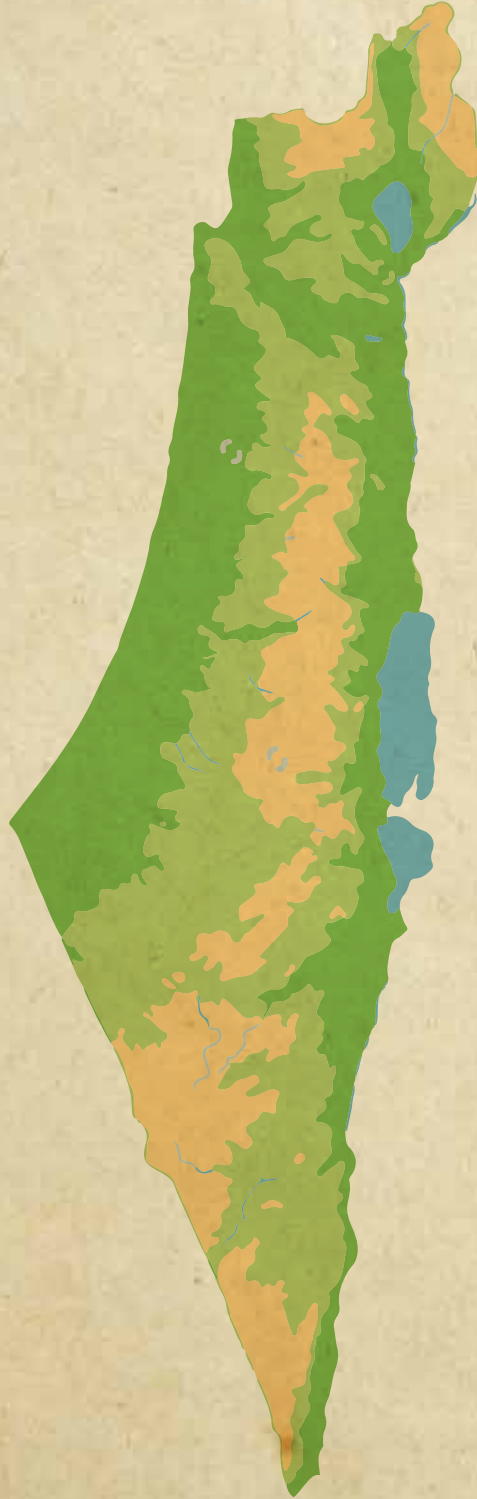


أصحاب الحقوق الفلسطينية غير القابلة
للتصرّف يعلنون:



"ان إعلان بلفور
باطل من أساسه"

إنني أصدر هذا البيان بصفتي إنسانا يؤمن بالعدالة والمساواة والسلام إيمانا لا يتطرق إليه الشك، ويؤمن بحق جميع بني البشر، إناثا وذكورا، في العيش بكرامة، ويرفض كل صورة من صور الظلم والاحتلال والتشريد والاستيلاء على الممتلكات، والتحامل، والاستبعاد والتمييز.

كما إنني أصدر هذا البيان بصفتي شخصا قضى رَدَحًا من عمره في تعزيز التعاون الدولي، ونشر التنمية، وحمل مشعل المعرفة في جميع أنحاء العالم.

كما أصدره كفلسطيني لحق به شخصيا هو وعائلته وشعبه ضررٌ مباشر بسبب صدور ما يسمّى بوعد بَلْفور وهو في الحقيقة (إعلان بلفور) وما لحق به من تدابير عدوانية.

وبالإضافة إلى أنني في هذا البيان أعبر عن قناعاتي الشخصية، فإنني أعبر فيه عن قناعات جميع الفلسطينيين بمن فيهم أولئك الذين أرغموا على الهجرة من أرض أجدادهم، وأولئك الذين بقوا وأجبروا على العيش تحت نير الاحتلال.



إننا عندما ننظر في مضمون إعلان بَلْفور نظرةً فاحصةً ومحصنةً ونقيمةً في ضوء مجريات الواقع، سيدهشنا مدى افتقاره لأي أساس قانوني أو سياسي أو أخلاقي أو إنساني سديد. فلنستحضر نص الإعلان:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا وجوب عدم اقتران ذلك بالإتيان بأي عملٍ من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجموعات السكانية غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا من الحقوق أو الأوضاع السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر.»

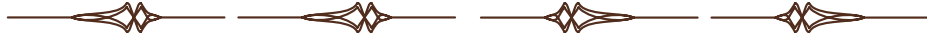
من البديهي أن كلا من الحكومة البريطانية، وجميع مسؤوليها كانوا «غير ذوي صفة» فيما يتصل بالتنازل عن أرض شعبٍ لغيرهم.

كذلك لم يكن لرئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني، ولا الجماعات الصهيونية التي اجتاحت فلسطين، أي صفةٍ أو حق فيما يتعلق بفلسطين.

غنيٌّ عن البيان أيضا أن فلسطين لم تكن أرضا بلا شعب. حتما لم تكن فلسطين «أرضا لا شعب فيها تنتظر شعبا لا أرض له» ليحل مكانهم كما روجت الدعاية للحركة الصهيونية.

إن الحق الذي لا شبهة فيه هو أن فلسطين كانت عامرةً طيلة قرون خلت بأبناء شعبها الفلسطيني الذي يتألف من مسلمين ومسيحيين ويهود.

وخلال القرون السابقة على صدور إعلان بلفور، وكما هو حال الكثير من بلدان المنطقة، كانت فلسطين بلدا عربيا تحكمه إداريا الإمبراطورية العثمانية مع تمتعه بقدرٍ من الذاتية في تسيير شأنه الداخلي.



أما خلال العقود والسنوات السابقة على صدور إعلان بلفور، فقد حصلت في فلسطين تطورات كانت شبيهة بالتطورات التي شهدتها غالبية بلدان المنطقة.

فقد تزامن مع تسارع تفكك الإمبراطورية العثمانية اكتمال تصور شعب فلسطين عن نفسه كأمةٍ وطنية على عتبة استكمال بناء دولتها الوطنية التي تدير شئونها.

في الوقت نفسه، وعلى مستوى العلاقة مع المحيط المباشر والأوسع، كان الوعي الفلسطيني يحمل تصورا لا لبس فيه أن فلسطين جزءٌ لا يتجزأ من بلاد الشام، وأنها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير.

وقد أكد هذه الحقيقة الساطعة عدد من الباحثين والخبراء من أصحاب المعرفة الراسخة خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

هذا، وكتطبيق لهذه التصورات، أخذ شعب فلسطين يطور أطر التمثيل السياسي لديه ضمن سياق بناء دولة وطنية جديدة.

إن شئت قلت إنها كانت مرحلة من مراحل «تقرير المصير» التي جرت تلقائيا.

لكن إثر الغزو البريطاني لفلسطين في تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٧، أطلق النفوذ البريطاني حملةً مستعرةً متعددة الأبعاد لإجهاض جميع هذه الجهود بغية الحيلولة دون نشوء دولة فلسطينية مستقلة.



وبينما توخى إعلان بلفور، في ظاهره، إنشاء بيت وطني لليهود «في» فلسطين لا «عليها جميعا»، والمحافظة على الحقوق المدنية والدينية للفلسطينيين، فإننا نجد على أرض الواقع أن هذين الأمرين قد جرى انتهاكهما انتهاكا جسيما منذ اليوم الأول.

فاعتباراً من تاريخ إعلان بَلْفور، وفي سياق تمكين الاحتلال الصهيوني، أطلق الاحتلال البريطاني حملة مصممة بحذق لمصادرة الممتلكات وعلى رأسها البيوت والأراضي، وهدم المنازل، والاحتجاز غير المبرر، والقتل، وتمكين الصهاينة من بناء المستوطنات.

وقد أعقب ذلك أن أخذت الحكومات الغربية تُسلح العصابات الصهيونية التي أخذت تباشر بنفسها عملية الاستيلاء على فلسطين كلها.

وبدورهم، صمم الصهاينة ونفذوا سياسات مصادرة للممتلكات بما في ذلك الأراضي والمساكن والطردي الفردي والتهجير الجماعي وهدم البيوت والاعتقال وضرب المتظاهرين وتكسير عظامهم والتعذيب والقتل والاعتقال وبناء المستوطنات واقتلاع الأشجار وعلى رأسها شجر الزيتون، ومنع التنقل، وإقامة الحواجز والأسوار، وسرقة المياه والاستيلاء على الأصول الفكرية التراثية المملوكة لشعب فلسطين.

وقد أخذ الصهاينة يوسعون نطاق هذه السياسات عقداً بعد عقد. وفي نهاية المطاف، استولى الصهاينة على كل فلسطين، بمباركة نفوذ قوى الهيمنة.



لو نظرنا في تطورات القضية، للاحظنا أن إعلان بَلْفور كان مجرد أداة من أدوات مؤامرة منسوجة نسجاً حاذقاً ضد الشعب الفلسطيني والعالم العربي وضد السلام وضد الإنسانية جمعاء.

لقد كان المراد من إعلان بَلْفور أن يكون وسيلة لـ «إضفاء الشرعية» على الاحتلال الصهيوني. وكان المراد من الاحتلال الصهيوني نفسه أن يكون قاعدة متقدمة لمساعي الهيمنة التي تهدف إلى تحقيق السيطرة الاقتصادية والاقتصادية العالمية.

لقد تسنى لعدد كبير من الدراسات الرصينة التي أجراها خبراء راسخون رصد أوجه العوار والانحراف التي شابته إعلان بَلْفور.

فضلاً عن ذلك، فإن العديد من قرارات الأمم المتحدة التي تطالب بالعدالة للشعب الفلسطيني، والاعتراف بحقهم في العودة، كشفت عن أن إعلان بَلْفور يتناقض تناقضاً جوهرياً مع روح حقوق الإنسان والقانون الدولي.

ومع ذلك، فإن سياسات الكيل بمكيالين، والغياب الفاضح لإرادة أممية حقيقية فيما يتصل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، بالإضافة إلى إخفاق البلدان العربية في إنجاز وحدتها وتبني سياسة موحدة جوهرها الضغط الحقيقي على الاحتلال الصهيوني وداعميه، كل ذلك ساهم في استمرار الاحتلال «الهش»، وساهم في إطالة أمد المأساة الفلسطينية والظلم، وأدى إلى ترك الشعب الفلسطيني يكافح وحده من أجل حقوقه.

إنه لذلك كله نرى أنه من التبسيط المبالغ فيه القول إن «الكيان الصهيوني» هي نتاج إعلان بلفور وحده.



وعلى الرغم مما سبق، فإن صلابة الشعب الفلسطيني الاستثنائية حالت دون تحقيق تطلعات صائغي إعلان بلفور ومصممي المؤامرة الأكبر، وهي «توطيد أركان الاحتلال» بصورة نهائية.

فعلى الرغم من استمرار الاحتلال والمعاناة الجمة، فإن صلابة وصدور شعب فلسطين ورجاله ونسائه وأطفاله وشيوخه التي عزَّزَ نظيرها أثبتت أن التوقع بأن يأتي يومٌ يخنقي فيه الفلسطينيون هو مجرد أحلام زائفة.

كذلك فإن التضحيات المستمرة التي يقدمها كل جيلٍ فلسطيني جديدٍ تُمثل شهادةً بليغةً على بطلان التمني الذي مفاده أن «الكبار سيموتون، والصغار سينسون».

فعلى النقيض تماماً من تمنيات المعتدين، نجد اليوم أن عدد الفلسطينيين العرب في فلسطين التاريخية يفوق عدد الصهاينة. كما نجد أن معدلات النمو السكاني لدى الفلسطينيين أعلى بكثير. فليس لدى أبناء شعب فلسطين نيةٌ للمغادرة على الرغم من كل تدابير القمع والإغراءات!

كما أننا نجد أن ملايين الفلسطينيين في الشتات والذين بلغ عددهم ٢٥ مليون نسمة، مُصرُّون على العودة إلى ديارهم وعلى استعادة حقوقهم الكاملة. وهذا يشمل الجيل الثاني والثالث الذي ولد في الخارج.

وبالرغم من التشرد والمعاناة والظروف القاسية فقد استطاع الشعب الفلسطيني العظيم أن يحقق أرقاماً قياسية في خدمة الحضارة البشرية، نوعاً وعداداً، عالمياً وفي أرقى الجامعات ودور العلم والمؤسسات المالية والبحثية والفنية والطبية والثقافية والأدبية وغيرها. وقد زاد عدد المبدعين الحاصلين على براءات اختراع دولية والذين أحصيناها حتى الآن أكثر من عشرة آلاف مبدع ومخترع وحائز على جوائز دولية ومنتخب لمناصب عليا في كافة الدول وفي أعلى المناصب الأكاديمية والعلمية والاقتصادية والسياسية والمجتمعية.

ان هذا الشعب المبدع الذي تحدى المعاناة والظلم والاستبداد ليقدم أساطير في الريادة الدولية هو شعب يستحق الحياة والانتصار، وسوف يحقق تحرير وطنه من الاحتلال. وكما قال الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش: «ان على هذه الأرض ما يستحق الحياة».



بناء على جميع ما تقدم

وبصفتي إنسانا معتزا بكوني فلسطينيا، أؤكد أن إعلان بلفور لاغٍ وباطل، وأن جميع التدابير ذات الصلة بإضفاء الشرعية على العدوان الذي جرى على وطني لاغية وباطلة، وأنتي سأواصل التمسك بقضية شعبي العادلة إلى أن يجري تفكيك الاحتلال وزوال الظلم الذي لحق بفلسطين وشعبها زوالاً كاملاً.

وبصفتي صاحب حق في بلدي فلسطين، وكواحدٍ ممن لحق بهم ضررٌ مباشرٌ جراء هذا العدوان الصارخ على بلدي ومدينتي وبيتي وحديقتي وممتلكاتي وممتلكات أهلي وذاكرتي وتاريخي، فإنني أجدد إدانتي ورفضي لإعلان بلفور كما أجدد إدانتي ورفضي لجميع آثاره وعواقبه.

إنني لا أسمح لأي شخصٍ باحتلال بيتي تحت أي ذريعة من الذرائع أو مسوغ من المسوغات. ولن أتنازل أبدا عن حقي في بيتي في يافا.

إنني أزدرى ازدراءً قطعياً جميع الصيغ القائمة على الاملاء. ولا أقبل مطلقاً عمليات التسوية التي تؤدي إلى الإخضاع وتسمي ذلك سلاماً. ولا أقبل المساومة على حقوقي.

إنني، وشعبي الباسل، نؤمن إيماناً راسخاً بعدالة قضيتنا، ونحن ملتزمون التزاماً قاطعاً بتحرير بلادنا من الاحتلال الصهيوني.

وسوف أظل أكافح من أجل استعادة حقوقي، وهذا ما سوف يفعله أبنائي وأحفادي، جيلاً بعد جيل، حتى تتحقق العدالة على أكمل وجه. وأعتقد أن جميع الفلسطينيين، إناثاً وذكوراً، ملتزمون بذلك.

نعم سيواصل الفلسطينيون مقاومتهم التي أقرتها جميع المواثيق الأممية حتى تتحقق العدالة وتستعاد الحقوق، بغض النظر عن المؤامرات والخدلان والتقصير الدولي الفاضح.

وبصفتي فلسطينيا متمتعا بحقي في الانتماء لبلدي، وهو حق غير قابل للتصرف، فإنني أطالب بتمكين جميع الفلسطينيين الذين أُخرجوا قسرا من ديارهم وبلدهم من استعادة جميع حقوقهم المستلبة. كما أطالب بتعويضهم عن الضرر المتمثل في البعد عن الوطن طيلة هذه السنوات والعقود التي عاشوها في المنفى. هذا على الرغم من أن كنوز الدنيا لا تعادل لحظة من لحظات تنسّم عبير الوطن.

إن الوضع غير الطبيعي الذي امتد لأكثر من قرن في فلسطين، والذي فُرض قسرا من خلال القتل والتدمير والتآمر والخداع وإخفاق الأمم المتحدة، لن يدوم.

وسوف يُزال ذلك الظلم الذي وقع على فلسطين إزالة كاملة.

هذا ما تنبئ به حركة التاريخ. إن جميع المؤشرات تشير صوب وجهةٍ واحدة، ألا وهي
تحرير فلسطين.



في الرابع من نوفمبر لعام ٢٠١٧، أصدر **طلال توفيق أبوغزاله** من يافا - فلسطين هذا البيان في مؤتمر الذكرى المائة لصدور «إعلان بلفور» ٢ / ١١ / ١٩١٧ في دمشق، الجمهورية العربية السورية.

سنرجع يوماً الى حيننا ونغرق في دافئات المنى سنرجع مهما يمر الزمان وتناهى المسافات ما بيننا

.....

سيف فليشهر في الدنيا ولتصدع أبواب تصدع الآن الآن وليس غمداً أجراس العودة فلتقرع
أنا لا أنساك فلسطين ويشدّ يشدّ بي البعد
(فيروز)

على هذه الأرض ما يستحق الحياة، على هذه الأرض سيدهُ الأرض، أم البدايات، أم النهايات، كانت تسمى:
فلسطين، صارت تسمى: فلسطين. سيدتي، أستحق، لأنك سيدتي، أستحق الحياة
(محمود درويش)



Photo via Frank M. Rafik / Flickr

إنني، وكل فلسطينية وفلسطيني، سنظل نعلق على حوائط بيوتنا "مفتاح العودة"
الذي استلمناه من أمهاتنا وأبائنا، وسوف نسلم "مفتاح العودة" لأبنائنا، وأبنائنا
سيسلمونه لأحفادنا، وذلك حتى نعود جميعاً بأجسادنا وبأرواحنا إلى بيوتنا التي
أخرجنا منها .
(طلال أبوغزاله)